الحركة التّنصيرية وآلياتها في الحرم الجامعي الجزائري "منطقة القبائل نموذجا"

سامية مشتوب

جامعة مولود معمري/ تيزي وزو- الجزائر

مقدّمة:

يعود تاريخ الحركة التّنصيرية في الجزائر إلى عهد الإِستدمار الفرنسي الّذي عمل ومنذ نزوله بأرض الجزائر لا على استنزاف ثرواتها وأراضيها وحسب بل راح يوظّف كلّ ما لديه من قوّة وعتاد للقضاء على معالم الشّخصية الوطنية (الدّين، اللّغة، التّاريخ) الّتي تمثّل في مجملها روح المواطن الجزائري وكيانه خصوصا مع تزايد حدّة السّياسة الإِستدمارية القائمة على التّفقير والتّقتيل والتّجهيل، أكثر من ذلك؛ ففي مثل هذه الأوضاع المزرية اغتنم رجال الكنيسة الفرصة لتقوية نشاطهم التّبشيري تحت لواء "**المسيحية مقابل الخبز**" ومنطقة القبائل واحدة من أشهر المناطق الجزائرية الّتي عانت هذا الوضع وتبعاته الّتي امتدّت إلى يومنا هذا، ما يجعلنا نقول أنّ فعل التّنصير في الجزائر وباقي الأقطار الإسلامية ليس وليد اليوم أو البارحة فهو نتاج خطّة اِستدمارية صليبية تهدف لنشر المسيحية في كاملة بقاع العالم، لكنّ ذلك لا يتأتّى إلاّ بالقضاء على الإسلام باعتباره المنافس الوحيد الّذي يخشى رجال الكنيسة

سرعة انتشاره وولوجه للنّفوس البشرية باعتباره آخر الكتب السّماوية الّتي شرّعها اللّه تعالى لخلقه، لهذا نجدهم يوجّهون كلّ جهودهم ومساعيهم لإيقاف حركة انتشاره بتنصير المسلمين والحيلولة دون دخول غير المسلمين في الإسلام، فذلك بالنّسبة إليهم بمثابة درع الأمان الّذي سيضمن لهم بقاء دينهم وانتشاره، بالتّالي فهم لا يعدمون أيّة وسيلة لتحقيق ذلك. ففي الجزائر نجدهم يوجّهون كلّ طاقاتهم وأموالهم ونفوذهم في سبيل محاربة الإسلام والقضاء عليه في قلوب الجزائريين وذلك بنشر الفتنة والفرقة بين أبناء الوطن الواحد.

والجامعة الجزائرية باعتبارها مؤسّسة تنموية هامّة تضمّ طاقات شبابية مبدعة ومتعلّمة فقد كانت المستهدَف الأساسي في العملية التّنصيرية، وذلك بحجّة تحقيق العلمانية وحرية التّعبير ما يتطلّب بالضّرورة فصل الدّين عن الدّولة واحترام حريات الأفراد والجماعات، وأمام هذه المغريات وتحدّيات الواقع وتناقضاته يعيش الشّباب الجزائري المثقّف صراعا داخليا أتى على كلّ كيانه وذاته، والشّباب المثقّف في منطقة القبائل عيّنة من أولئك الّذين تضاعف همومهم وتتزايد معاناتهم خصوصا مع فهمهم الخاطئ لتعاليم الدّين الإسلامي واستسلامهم لمغريات العصرنة والتّطوّر التّكنولوجي. وفي هذا الإطار سنحاول تتبّع هذه الظّاهرة بتحديد مفهومها وتقصّي أسباب انتشارها وتفشّيها في الحرم الجامعي في منطقة القبائل والجزائر بصفة عامّة، وذلك بالتّركيز على أهدافها وآلياتها، إضافة للأساليب والوسائل الّتي يستغلّها المنصّرون لإنجاح مشروعهم التّبشيري في الجزائر والجامعة الجزائرية مع محاولة اقتراح بعض الحلول الّتي نراها مناسبة للقضاء عليها وحماية الشّباب الجزائري من أخطارها وتبعاتها على

حياة الفرد والجماعة هذا يفرض علينا الوقوف عند بعض المصطلحات التّنصيرية لنضبط مفاهيمها ودلالاتها وهي كالآتي:

• **النّصرانية:** هي دين سماوي أوحي إلى نبيّنا عيسى—عليه السّلام –فقد أنزل اللّه تعالى الإنجيل عليه، وهو كتاب يقوم كغيره من الكتب السّماوية على عقيدة التّوحيد، لكنّه تعرّض فيما بعد للزّيف والتّحريف، وقد نُعت المتديّنون بهذه الدّيانة في القرآن الكريم بالنّصارى كما في قوله تعالى﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[1]

• **التّنصير**: هو الدّعوة لاعتناق النّصرانية وإدخال غير النّصارى فيها، يعرّفه الفيروزآبادي قائلا: "النّصرانية والنّصرانة واحدة النّصارى، والنّصرانية أيضا: دينهم، يُقال: نصراني وأنصار وتنصّر: دخل في دينهم، ونصّره: جعله نصرانيا[2] "فالتّنصير قائم على نشر الدّيانة النّصرانية وتوسيع نطاق اعتناقها.

• **المسيحية:** قال عمر فروخ مفرّقا بين النّصرانية والمسيحية "النّصرانية هي الدّين السّماوي الّذي أوحي إلى عيسى –عليه السّلام– وهو دين قائم على التّوحيد وعلى أنّ المسيح عيسى بن مريم –عليهما السّلام– نبيّ، أمّا المسيحية فهي مجموع

---

[1] البقرة: 62.

[2] الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، مج4، مؤسّسة الحلبي وشركاه، القاهرة، د تا 142/2 - 143.

التّعاليم الّتي وضعها **بولس**(ت67)[1] والّتي بُنيت على التّثليث الهندي ثمّ نُسبت إلى "المسيح" الّذي جُعل إلها"[2] يبدو الفرق جليّا بين مصطلحي التّنصير والمسيحية، فالنّصرانية تتعلّق بالدّيانة السّماوية الّتي أوحيت إلى نبيّنا عيسى –عليه السّلام– أمّا المسيحية فهي متعلّقة بما تعرّض له الإنجيل من تحريف وتزييف بعد سيّدنا عيسى –عليه السّلام– فهي ديانة مبتدَعة ومختلَقة من طرف الإنسان، لكن وبالنّسبة للإنسان العادي فالمصطلحان يؤدّيان معنًا واحدًا: الدّيانة المسيحية لذلك فالدّعوة إلى اعتناقها لا يُسمّى تنصيرًا بل تبشيرًا بها.

• **التّبشير**: مشتقّ من البُشرى "بشّرته بمولود فسُرّ" [3] فهو يحمل معنى نقل الأخبار السارّة وإيصالها إلى النّاس، يتعلّق هذا المصطلح بحملات الدّعوة لاعتناق الدّيانة المسيحية حيث يتمّ إرسال مبعوثين يقومون بتبليغ محتواها لغير معتنقيها.

---

[1] إسرائيلي من مدن آسيا الصّغرى، يعدّ واضع قواعد المسيحية المنتشرة اليوم في العالم، يقول عن تحوّله من اليهودية إلى المسيحية: "ولما كنت ذاهبا إلى دمشق بسلطان ووصية من رؤساء الكهنة رأيت في نصف النهار في الطريق(...) نورا من السماء أفضل من لمعان الشمس قد أبرق من حولي وحول الذاهبين معي، فلمّا سقطنا جميعا على الأرض سمعت صوتا يكلمني ويقول بالعبرانية: شاول شاول لماذا تضطهدني؟ صعب عليك أن ترفس مناخس. فقلت أنا: من أنت يا سيد؟ فقال: أنا يسوع الذي أنت تضطهده ولكن قُم وقِف على رجليك لأني لهذا ظهرت لأنتخبك خادما وشاهدا بما رأيت وبما سأظهر لك به منقذا إياك من الشّعب ومن الأمم الذين أنا أرسلك إليهم لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيبا مع المقدسين".

[2] عمر فروخ: "الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة" في: المستشرقون والإسلام، تأليف نخبة من العلماء المسلمين، دار المعرفة، جدة، 1405 هـ – 1985م، ص 125، والنص من الهامش.

وقدِ اتّخذت الحركة التّنصيرية في الوسط الجامعي بمنطقة القبائل أوجها وطرائق عديدة نجملها كالآتي:

1- الهوية الوطنية والقضية الأمازيغية:

"القبائل أمازيغ مسيحيون، الإسلام هو السّبب في القضاء على العرق الأمازيغي فالعرب الغزاة جاءوا بالسّيوف، صادروا أراضي الأمازيغ وممتلكاتهم وشرّعوا الإسلام بدل المسيحية ولغتهم العربية بدل اللّغة الأمازيغية"

عبارات وشعارات يردّدها المنصّرون في أوساط الطّلبة بمنطقة القبائل، فهم يدّعون أنّ الجزائر قبل الفتوحات الإسلامية كانت منطقة آمنة يدين أهلها بالمسيحية ويتكلّمون باللّغة الأمازيغية، لكنّ العرب الغزاة دنّسوا أرضها وشوّهوا تاريخها وأصولها فجعلوها– باستخدام القوّة والسّيف –منطقة عربية تابعة لهم.

مثل هذه الأفكار ينشرها المنصّرون بين الطّلبة ويسمّمون بها عقولهم فيدعونهم لتحرير أرضهم من الغزاة لاسترجاع المجد الضّائع، أكثر من ذلك فهم يدّعون أنّ الأمازيغ ينتمون للعرق الآري الّذي تنتمي إليه أوربّا ممّا ينمّي لدى الشّباب القبائلي الإحساس بالتّفوّق والتّقدّم على الجنس العربي، لذلك نجد بعض الطّلبة يسخرون من العرق العربي وينفون أيّة صلة تربطهم به وإن كانت صلة الدّين الإسلامي فيسارعون لتبنّي مبادئ المسيحية ويعلنون ولاءهم وتبعيتهم لحضارة الغرب الّتي يعتبرونها حضارتهم الأم خصوصا مع ما تعرفه الآن من تطوّر وازدهار مقارنة بالحضارة العربية الإسلامية الّتي عرفت في العصر الحديث تراجعا وتدهورا كبيرا بسبب تخاذل أبنائها وتكاسلهم في خدمة دينهم وترقية حضارتهم، فصار الطّلبة في منطقة القبائل –وحتّى بعض المسلمين منهم– يعادون العرب ويطالبون بترسيم اللّغة الأمازيغية وجعلها اللّغة الوطنية

الأولى في البلاد لكنّ رفض الجهاز الحاكم مطلبهم ساهم في تنامي الحقد وتزايده فتزايد عدد المتنصّرين من الطّلبة نكاية في النّظام الحكومي الجزائري باعتباره— وحسب ادّعاءات هؤلاء –مسيّرا من طرف العرب، لذلك نجد لجان الطّلبة في الجامعة تدعو للخروج في مظاهرات واحتجاجات ضدّ النّظام الحاكم في البلاد، فانتشرت الفوضى وتحوّلت الجامعة إلى ساحة حرب دائمة وقعت فيها أحداث وصدامات عديدة بين الطّرفين، نذكر منها حوادث 20 أفريل 1980 الّتي صارت اليوم حادثا تاريخيا خالدا يحتفل به الطّلبة في كلّ سنة ويحيونه فيجدّدون عهدهم بالقضية مبيّنين عداءهم تجّاه الدّولة والعرب والإسلام بصفة عامّة، حيث وصل الحدّ ببعض الأطراف في إحدى المظاهرات لتحريض الطّلبة على رفع شعار: **"جيش شعب معاك يا شارون"** بحجّة أنّ السفّاح الإسرائيلي **أرييل شارون** الّذي ارتكب أكبر المجازر الإنسانية في حقّ الشّعب الفلسطيني هو من ينتقم للأمازيغ من العرب على كلّ ما فعلوه بهم، ما أثار غيض الكثير من الطّلبة المسلمين فقامت مشادّات عنيفة بين الطّرفين كادت أن تؤدّي بنا إلى أزمة جديدة خصوصا وأنّ شعارا كهذا لا يسيء فقط لسمعة الجزائر باعتبارها من المساندين الأوائل للقضية الفلسطينية فهو كذلك يُعتبر بداية لتثبيت كيان آخر بل وأخطر من الكيان المسيحي في الجزائر وهو الكيان الصّهيوني.

كذلك وفي مظاهرات أخرى نجدهم يرفعون شعارات:

– Corrigez l'histoire ،L'Algérie n'est pas arabe

-Nous ne sommes pas des arabes

Tamat di lakul

وذلك فيما معناه:

– صحّحوا التّاريخ، فالجزائر ليست عربية

– نحن لسنا عرب

الأمازيغية في المدرسة

وفي ذلك دعوة لمحاربة اللّغة العربية وإحلال اللّغة الأمازيغية بدلا عنها، والملاحظ أنّ الشّعار الأوّل والجزء الأوّل من الشّعار الثّاني مكتوبان باللّغة الفرنسية فهي اللّغة الأكثر حظّا في المنطقة وإن كانت من مخلّفات الإِستدمار الفرنسي، حيث استحوذت على الإدارة والمؤسّسات العمومية، فلا نجد للّغتين العربية والأمازيغية أثرا إلاّ في قاعات الدّراسة، لذلك صار الطّالب الجامعي في منطقة القبائل يتفاخر بإتقانه للّغة الفرنسية ويتباهى بها كرمز للتّقدّم والتّحضّر خصوصا وأنها اللّغة الأكثر اعتمادا في التّدريس، متناسيا لغة دينه ولغته الأم، وهذا لا يقتصر على الطّلبة فحسب بل حتّى على باقي الفئات الأخرى في المجتمع ففي منطقة بنى يني والأربعاء ناث ييراثن وعين الحمام مثلا نجد شيوخا وعجائز وحتّى الأطفال يتباهون بإتقانهم كُليمات أو عبارات متقطّعة من اللّغة الفرنسية لكنّ ذلك لا ينفي وجود شيوخ وعجائز يحقّ لنا أن نفخر بهم لأنّهم يقصدون مؤسّسات محو الأمّية بالمنطقة لطلب العلم فنجدهم يتباهون بتعلّمهم ولو آية أو سورة صغيرة من القرآن الكريم .

كذلك وفي إطار تزييف التّاريخ الوطني يدّعي المنصّرون أنّ أبناء منطقة القبائل وحدهم فجّروا ثورة التّحرير الكبرى ضدّ المستدمر الفرنسي أمام حيرة العرب ودهشتهم فهم لم يدركوا حتّى سبب قيامها لكنّ المتصفّح لتاريخ الجزائر المجيد يعرف أنّ ثورة التّحرير الكبرى قامت عبر كامل التّراب الوطني في توقيت واحد وتاريخ واحد بمشاركة كلّ أبناء الجزائر عربا كانوا أم أمازيغ، ولعلّ أسماء العربي بن مهيدي، سي الحواس،

العقيد عميروش، عبان رمضان لخير دليل على ذلك. أكثر من ذلك فقد وصلت بهم وقاحتهم للطّعن في أبطال المقاومة الوطنية وتشويه سمعتهم فقد اتّهموا الأمير عبد القادر مؤسّس الدّولة الجزائرية الحديثة بالخيانة والجبن بسبب استسلامه، فهم يرون أنّه قدّم الجزائر على طبق من ذهب للمستدمر الفرنسي، وهو في نظرهم لم يفعل ذلك إلاّ لأنّه عربيّ فالرّجل الأمازيغي لا يستسلم بل يجاهد حتّى النّصر أو الشّهادة. إضافة لذلك ففي تاريخ 30 /29 جانفي 2011 انعُقد بولاية تيزي وزو ملتقى يتناول حياة "**الشيخ موحند أولحسين**" وإبداعاته، وقد ركّز الأساتذة المحاضرون على استظهار الموهبة الشّعرية للشّيخ موحند أولحسين متناسين بذلك البعد الدّيني الّذي صنع نبوغه في نظم الشّعر، فهو في نظرهم شاعر حكيم أمازيغي. إضافة لذلك فقد كان لعدم إقرار السّلطات العليا في البلاد بشرعية الِاحتفال برأس السّنة الأمازيغي "**يناير**" الّذي يصادف 12 جانفي من كلّ سنة دور كبير في انتشار ظاهرة التّنصير بجامعاتنا بمنطقة القبائل وذلك بحجّة محاولة المسلمين العرب الممثّلين في النّظام الجزائري طمس المعالم الحقيقية للشّخصية الأمازيغية في الجزائر وشمال إفريقيا بصفة عامّة خصوصا وأنّه يمثّل ذكرى انتصار الحاكم الأمازيغي "**شَاشْنَاقْ**" على الفراعنة المصريين.

2- تنصير المرأة: ترتبط فكرة تنصير المرأة الجزائرية المسلمة بالوجود الِاستدماري في الجزائر، حيث عمدت السّلطات الفرنسية آنذاك لاستقدام أعداد هائلة من الأخوات المسيحيات Les sœurs blanches الآّتي يتكفّلن بمهمّات عديدة كالتّعليم والتّطبيب وغيرها من الأعمال الخيرية الّتي يؤدّينها باسم الدّيانة المسيحية، وقد كانت المرأة المستهدَف الأساسي بالعملية التّنصيرية باعتبارها الأمّ والأخت والزّوجة الّتي تلعب دورا هامّا في التّأثير على الرّجل وجذبه للمسيحية ومن ذلك نذكر قصّة العجوز

الّتي استفادت من إحدى العمليات التّبرّعية في المنطقة فشكرت أحد المنصّرين قائلة : "أشكرك يا بنيّ، واللّه لا ينقصك سوى الشّهادة لتكون إنسانا تقيا، أمّا في العصر الحديث فقد اتّخذت العملية التّنصيرية بالنّسبة للمرأة الجزائرية أساليب حديثة ومتنوّعة تتماشى وتحدّيات العصر حيث نجد المنصّرين ينشرون في أوساط الطّالبات المسلمات شعارات وأكاذيب ملفّقة نجملها فيما يلي: "**الإسلام دين ينتهك حقوق المرأة ويقمع حرّياتها وطموحاتها، فهو يجعل السّلطة كلّها في يد الرّجل، أما آن الأوان للمرأة أن تتحرّر وتندفع نحو الأمام للعمل والتّطوّر؟!**"

فالإسلام بالنّسبة إليهم دين يحطّ من قيمة المرأة ويقلّل من شأنها، ما يحدّ من حرّيتها ونشاطها كإطار فعّال في المجتمع الإنساني، لذلك نجدهم وبدعوى التّحضّر والمدنية يحرّضونها على التّمرّد والخروج عن تقاليد الإسلام وأخلاقه بتشويهه والتّشكيك في مصداقيته بالنّظر لموقفه من المرأة في عدّة قضايا نذكر منها :الميراث، تعدّد الزّوجات، الحجاب وغيرها، ولتحقيق ذلك يعمد هؤلاء لنشر الفساد وسوء الأخلاق بين الطّالبات المسلمات مستعينين بفتيات منصّرات ينشرن أفكارا لا تمتّ بأيّة صلة لمبادئ الدّين الإسلامي وتقاليده كالتّبرّج وخلع لباس الِاحتشام والِإختلاط بالرّجال بدافع التّطوّر والعصرنة، فسارت المرأة المسلمة مسار التّقليد والتّبعية للغرب متبنّية أفكارا وسلوكات غريبة عنها وعن دينها لتعود بذلك للجاهلية الأولى، فظهر مصطلح الحجاب العصري Hidjeb moderne الّذي يسري على الموضة ويظهر ملّ مفاتن المرأة ويخلع عنها حشمتها وسترها، فأصبحت جامعاتنا مسرحا للإباحيات والمحرّمات وانتشرت الفاحشة بين طلبتنا بل وشبابنا بصفة عامّة وهذا بسكوت السّلطات المعنية بدعوى الحرية والدّيمقراطية، حيث نجد في المنطقة وباقي ولايات الوطن إقامات

جامعية مختلطة ما ساهم في تفاقم الوضع وتدهوره، فأصيبت المرأة المسلمة في أخلاقها وصارت أسيرة الهوى ووهم الحرية العصرنة والتّحضّر.

3- السياسة في الجامعة:

عانت الجزائر منذ الاِستقلال أزمات سياسية عديدة أفرزها التّشتّت الحزبي والسّياسي الّذي كاد أن يشتّت وحدتها ويزحزح سيادتها في العديد من المرّات، فقد تنوعت الآراء وتعددت المذاهب، وفي هذا الإطار كانت الجامعة الجزائرية أرضا خصبة يتنافس فيها السّاسة على المناصب العليا في البلاد، وذلك بتسييس الطلبة وإقحامهم في الصراعات السياسية والحزبية، وقد كانت منطقة القبائل ولا تزال من أشهر المناطق الجزائرية الّتي تعيش صراعات حزبية جهوية يجسّدها تيّاران متعارضان يسيران في خطين متوازيين هما:

– **التيّار الإسلامي**: تتزعّمه أحزاب سياسية إسلامية موالية للنّظام الحاكم في البلاد.

– **التيّار المعارض**: تتزعّمه أحزاب معارضة للنّظام الجزائري، شكّله دعاة الاِنفصال والقطيعة مع جهاز الدّولة الجزائرية لتأسيس دُوَيْلَةٍ أمازيغية قائمة على الدّيانة المسيحية.

وقد ركّز هذان التيّاران اهتمامهما على الشّباب المتعلّم في الجامعة، حيث عمد التيّار المعارض لإقامة تجمّعات سياسية داخل الجامعة يدعو أصحابُها الطّلبة لمقاطعة النّظام والوقوف ضدّه، فكانوا المسؤولين الأوائل عن كلّ المظاهرات والاِحتجاجات الّتي يقوم بها الطّلبة، وفي هذا الإطار يبرز نشاط المنصّرين بقوّة إذ أصبحوا ينادون بفكرة الحرّية الدّينية ويطالبون بتطبيق فكرة انفصال منطقة القبائل عن باقي الأراضي الجزائرية وإقامة كيان مسيحي مستقل، خصوصا مع تزايد الأزمات التي تعيشها الجزائر والجامعة الجزائرية، والأدهى في الأمر أنّ أنصار هذا التيار ومسيّروه هم في الحقيقة أناس ذوو مكانات ومراتب عليا في الدّولة الجزائرية ما يساعدهم على دعم

الحركة التنصيرية في المنطقة وفي الجامعة خصوصا وذلك بمد جسور التواصل والتفاعل بينها وبين الطلبة بصفة عامة. أمّا التيّار الإسلامي فقد فشل في إيصال صورة الإسلام الحقيقية لأبناء المنطقة، ما جعل طالب العلم في الجامعة بمنطقة القبائل يعيش صراعا دائما يتجاذبه الإسلاميون من جهة والاِنفصاليون من جهة أخرى.

4- الطّعن في الإسلام والتّشكيك في مصداقيته:

يُعدّ هذا الأسلوب من أقدم الأساليب والآليات الّتي يعتمدها المنصّرون لنشر دينهم وتثبيت كيانهم في بلد ما، حيث يقومون بزرع الشّكوك في الإسلام لدى المسلمين ويعملون على نزع الوازع الدّيني من النّفوس والقلوب، حتّى يسهل عليهم التّوغّل إليها من أجل نشر أفكارهم الفاسدة، وهذا بالهجوم على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والتاريخ الإسلامي بصفة عامة، وقد نشر المنصرون في الوسط الجامعي بمنطقة القبائل العديد من الأفكار الفاسدة الساذجة والكاذبة، نذكر منها:

- التّكذيب بنبوّة النبي محمّد صلى الله عليه وسلم.
- القرآن الكريم مخلوق كغيره من الكتب السّماوية، فهو بذلك معرّض للتّحريف والزّيف.
- القرآن الكريم يحوي العديد من التناقضات والتّجاوزات.
- القرآن الكريم سبب تخلّف العرب وها هو الآن يساهم في تخلّف الأمازيغ الذين اعتنقوه.
- إن في أركان الإسلام الخمس تكليفا للمسلم وتعسيرا عليه، فالشهادتان تجبرانه على الاِعتراف برجل لم تره الأعين والإيمان به كنبيّ بعثه اللّه تعالى للبشرية أجمعين، أمّا الصلاة فهي شاقّة ومتعبة، الزكاة كذلك تساهم في إفلاس الإنسان، والصوم فيه مشقّة وإرهاق للجسم، أمّا الحجّ فهو أكثر الأركان تكليفا باعتبار ما يبذّره المسلم من أمواله لزيارة بيت الله المزعوم فيغامر بحياته وصحّته، وذلك كله لا نجده في المسيحية، فهي دين

يسر يُمكّن معتنقيه من أداء شعائره بكلّ سهولة وتبسيط فلا يكلّفهم أموالا ولا هدرا للوقت، وهو زيادة على ذلك يحفظ صحتهم وماهم وحياتهم.

أكثر من ذلك، فهم يدّعون أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- ولكونه عربيّا فهو مبعوث للعرب وكفى، بالتّالي فدخول العجم في هذا الدّين باطل، وذلك لتخلو لهم السّاحة فتكون النّصرانية هي الدّين الأمثل الّذي يمكنه أن يضمّ الأمازيغ كلّهم في حضن المسيح الّذي يعدهم بالحياة الأبدية والرّخاء، وهو من سيخلّصهم من كل الخطايا... لكن هذا كلّه باطل فالله سبحانه وتعالى يقول في محكم تنزيله﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[1] وإذا كان سيّدنا محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- عربيا مبعوثا للعرب فقط، فبماذا نفسّر سعي المنصّرين لنشر المسيحية في كامل بقاع العالم، مع العلم أنّ سيّدنا عيسى -عليه السّلام- بعثه الله عز وجل إلى بني إسرائيل، وهو بنفسه يبشّر بقدوم خاتم الأنبياء والمرسلين في قوله تعالى﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾[2] وفي ذلك اعتراف من سيدنا عيسى -عليه السّلام- بجميع الكتب السّماوية المنزّلة وجميع الأنبياء والمرسلين، مبشّرا بقدوم النّبيّ المصطفى سيّدنا محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- مِن بعده.

– **الإسلام والإرهاب:** هذا أخطر ادّعاء سمعناه من المنصرين لا في منطقة القبائل وحسب، بل في الجزائر كلّها، فهم يربطون الإسلام بكلّ ما عانته الجزائر في العشرية

---

[1] الأعراف: 158.

[2] الصف: 6.

السّوداء من أحداث مأساوية، فظاهرة الإرهاب في الجزائر كان سببها الجماعات الإسلامية المتطرّفة، وذلك في نظرهم تواصل لما ارتكبه المسلمون في القديم من جرائم لنشر دينهم، وهم في ذلك يقصدون بطبيعة الحال غزوات الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- مع المشركين والروم والفرس، وكذا حروب الفاتحين المسلمين من بعده في باقي بقاع العالم فالإسلام بالنسبة إليهم يساوي الإرهاب ولا يمكن أن ينتشر إلاّ بالقتل واستباحة أرواح الأبرياء... بالتالي فهذا الدّين مفروض بالقوّة والسّيف والشّعب الجزائري غير راضٍ به وفي ذلك دعوة لمبدأ الحرّية الدّينية دون اللّجوء إلى العنف والقوّة أو التّهديد.

هذه كلّها ادّعاءات وافتراءات، فظاهرة الإرهاب في الجزائر كما يعرف الجميع أفرزتها مجموعة من العوامل التي لا يمكن لأيّ كان إنكارها، نجملها في الأزمات السّياسية والاِجتماعية والاِقتصادية الّتي كانت تعيشها البلاد في تلك الفترة، أمّا الجماعات الإسلامية المتطرّفة الّتي كان لها دور فعّال في تفاقم الظاهرة واستفحالها فهي لا تمتّ للإسلام بأيّة صلة، وهو بريء منها براءة الذّئب من دم سيّدنا يوسف بن يعقوب -عليهما السّلام- اِتّخذ أصحابها الإسلام شعارا لهم، والشّهادة في سبيل الله غطاءً لجرائمهم وانتهاكاتهم في حقّ الشّعب الجزائري، رغبة منهم في تشويه أهمّ دعائم الدّولة الجزائرية فاستهدفوا ركن الإسلام الّذي تقوم عليه وحدة هذا البلد، وللأسف الشّديد فقد اقتنع الكثير من طلبتنا بل ومن شبابنا بصفة عامّة بهذه الفكرة، فتبنّوا النّصرانية عن جهالة، لأنّهم في الحقيقة لو عرفوا مبادئ الدّين الإسلامي وفهموها فهما صحيحا ما صدّقوا كلّ هذه التّرّهات الّتي تُحاك ضدّ الإسلام والمسلمين، فالإسلام يحرّم القتل وينبذه، وقد جعل له حدّ القصاص في حال وقوعه، كما حرّم كل أنواع الظّلم والاِعتداءات والاِنتهاكات الأخرى.

5- نشر الفساد وسوء الأخلاق بين الطلبة المسلمين: وذلك بانتشار الخمّارات والبِيتزّيرْيَات والنّوادي اللّيلية وقاعات اللّهو والمجون بطريقة سريعة ورهيبة في المنطقة والكثيرُ منها يتمركز حول الجامعة أو الإقامات الجامعية، ما يدعو للتّشكيك في أخلاق المسلمين ومبادئ التربية الإسلامية فيسهّل اعتناق الشّباب للمسيحية بغياب القوانين والرّقابة الصّارمة، وفي هذا الإطار نلفت الاِنتباه إلى أنّ المنصّرين لا يهتمّون باعتناق الشّباب لدينهم بقدر ما يهمّهم إخراجهم من دينهم كما جاء في مقولة صمويل زويمر [1]للمنصّرين: "...لكنّ مهمّة التّبشير الّتي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمّدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية فإنّ في ذلك هداية لهم وتكريما، وإنّما مهمّتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له باللّه، بالتّالي لا صلة تربطه بالأخلاق الّتي تعتمد عليها الأمم في حياتها"[1] فهو بذلك يدعو لفصل الشّباب المسلم عن دينه وكيانه وذاته.

6- **غياب الوازع الديني**: الإسلام في منطقة القبائل متوارث جيلا عن جيل، وهذا مصدر فخر واعتزاز أبناء المنطقة، لكنَّ الاِكتفاء بعامل التّوريث لا يبدو كافيا لترسيخ مبادئ الدّين الإسلامي في نفوس الشّباب المسلم بالمنطقة خصوصا وأنّهم ينشؤون منذ صغرهم في بيئة غريبة عنهم، وعن دينهم لذلك نجد لدى الكثير من الطّلبة الجامعيين في منطقة القبائل قابلية واستعدادا ذاتيا لتبنّي النّصرانية أو أي دين آخر بسبب جهلهم لأصول دينهم الحنيف ومبادئه السّمحاء، وهذا ما أدى لظهور فكرة حرّية العقيدة وحرّية التّديّن، فالإنسان بالنسبة للمنصّرين في المنطقة حرّ في اختيار دينه مسلما كان أو مسيحيا أو يهوديا... لكنّنا بالمقابل نجدهم يهاجمون الإسلام والمسلمين ويسخّرون لذلك كلّ ما لديهم من عدّة وعدد وهذا باطل، فالدين

عند الله الإسلام ولا يُقبل من أحد غيره عملا بقوله تعالى﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾[1] فالإسلام إذا "ليس ذلك الطّابع الأخلاقي، اللاّهوتي الدّيني وحسب، بل هو الدّولة، هو الثّقافة، هو حضارة تربطها بأخرى، الإسلام حضارة من أعظم الحضارات"[2] وفي هذا الإطار نورد قصّة طالب تائب كان قد تنصّر في السّابق، ثم عاد إلى الإسلام بعد مضي ثلاث سنوات عاشها تحت لواء المسيحية فقال: "ثلاث سنوات تحت المسيحية، صلّيت للربّ عيسى ودخلت كنائس تيزي وزو، كنت أضع صليبا في رقبتي، رغم معارضة والدي" ويسترسل في الحديث عن ماضيه قبل التّنصّر، فيقول: "كنت طائشا، شابا متمرّدا، لم أكن أعرف عن الإسلام شيئا إلا ما ورثته عن والدي، لم أكن أصلي، لكني كنت أصوم ولا أعرف لماذا؟ كنت أخرج كثيرا في النزهات فتعرفت ذات يوم على فتاة في إحدى البيتزيريات كانت جميلة جدّا وكانت تسألني في كلّ مرّة إذا كنت مسلما أو نصرانيا، وكنت أردّ عليها لا أنا مسلم ولا أنا نصراني، وراحت تغرس في داخلي مبادئ الدّين المسيحي" وفي الإطار نفسه يذكر أنّه اشترى قلادة تحوي صليبا فصار يتجوّل بها في الجامعة ويتفاخر بها أمام زملائه. أكثر من ذلك فقد صار يتردّد على إحدى البيتزيريات المقابلة للإقامة الجامعية للذّكور بتيزي وزو، وقد حوّلها المنصّرون إلى كنيسة مصغّرة يؤدّون فيها صلاة الوحدة كما قام بمراسلة نادي المستكشفين بفرنسا فمنحوه كُتبا وإنجيلا بالمجّان. فالتنصير في هذه الحالة قائم على عملية الجذب والإغراء في إطار غياب الوازع الدّيني الإسلامي لدى الشّباب المسلم في منطقتنا.

---

[1] آل عمران: 85.

7– الإعلام وتكنولوجيا الإتّصال: هي من أهمّ الوسائل الّتي اعتمدها المنصّرون في منطقة القبائل بمساعدة العديد من القنوات التّلفزيونية والإذاعية المساندة للمسيحية لإنجاح المهمّة في ظلّ غياب الإعلام الإسلامي الموجّه للمنطقة، حيث تمّ استغلال مختلف الوسائل التّكنولوجية الحديثة، وذلك بدأً بتشجيع البعثات العلمية للجامعات الغربية ليتمّ استغلال هذا التّبادل في تمرير خطابات ودعوات لاعتناق المسيحية، فالإسلام بالنّسبة إليهم لا يمكنه أن يواكب العصرنة والتّطوّر، كما يقومون بنشر مطبوعات ومنشورات وكتب ومجلاّت بالمجّان تشرح مضمون الإنجيل وتعرّف بالدّيانة المسيحية، فنجد فيها:

- سيرة المسيح سيّدنا عيسى –عليه السّلام– من منظور مسيحي.
- مبادئ الدّيانة المسيحية.
- سير بعض الآباء والقساوسة المشهورين.
- دراسات وبحوث في الدّيانة المسيحية.
- مقالات ودراسات في تشويه الإسلام والتّشكيك في مبادئه.

أمّا الكنيسة فهي تقوم بتوزيع أشرطة وأقراص مضغوطة(سمعية ومرئية) وكتب دينية مجّانا لتسهيل عملية تعرّف الطّلبة على الدّيانة المسيحية، في حين يكلّفنا شراء مصحف واحد مبلغا كبيرا، كذلك نذكر قيامها بترجمة قصص الأنبياء المؤلَّف على الطّريقة المسيحية إلى اللّغة الأمازيغية مثل قصّة سيّدنا عيسى، سيّدنا يوسف، سيّدنا موسى...– عليهم السّلام– والغريب أنّ هذه القصص متوفّرة في شكل أقراص مضغوطة في مكتبات عديدة بولاية تيزي وزو، فقد عثرنا عليها في مكتبة معروفة بوسط المدينة تحوي كتبا متنوّعة في جميع الميادين العلمية، بها جناح خاصّ بالدّراسات الدّينية الإسلامية يؤطّرها رجل يظهر من لباسه وهيأته أنّه من الإخوة المسلمين وتسيّرها امرأة متحجّبة، لكنّ جهلهما

بأمور الثّقافة والكتاب جعلهما يقعان في مزالق عديدة حيث قاما باقتناء هذه الأقراص المضغوطة وعرضاها للبيع في هذه المكتبة، وقد نقلتُ إليهما ملاحظتي هذه لكن دون جدوى بحجّة أنّها الوحيدة المتوفّرة في السّوق وإذا لم تُعرض فسيفقدان الزّبائن فاقتنعت عندها أنّ منطلقهما كان ماديّا تجاريا محضا أكثر من حرصهما على خدمة دينهما مع أنّهما يدّعيان الاِلتزام به من خلال اللّباس، ومع مرور الوقت تكرّرت الملاحظة نفسها من قِبل زملاءٍ لي وإخوةٍ آخرين فقام الرّجل –والحمد للّه– بسحبها كلّها ليعوّضها بأخرى مؤلّفة على الطّريقة الإسلامية، وهذا ما نتمنّاه أن يشمل جميع مكتبات الولاية ومؤسّساتها التّنموية والتّربوية خصوصا بعدما اكتشفنا وجود مكتبات في المنطقة فتحَها أصحابها خصّيصا لتسويق المؤلّفات المسيحية بما فيها الأقراص المضغوطة نذكر منها المكتبة الواقعة بجانب المحطّة المركزية للولاية.

8- **الإغراء الماديّ:** تمارس المؤسّسات التّنصيرية في المنطقة إغراءات ماديّة متنوّعة لجذب الطّلبة الجامعيين، وذلك في ظلّ الأزمات الاِقتصادية والاِجتماعية الّتي تعانيها البلاد، نلخّصها كالآتي:

- مسابقات ومنافسات في جميع الميادين العلمية باسم الدّيانة المسيحية، وفيها تُمنح كتب دينية وأناجيل كجوائز.
- مِنح ومساعدات تمكّن الطّلبة من مواصلة الدّراسة خارج البلاد.
- مِنح، أموال، وهبات تُمنح لمعتنقي النّصرانية الجدد من طلبة وشباب بصفة عامّة.
- إقحام الطّلبة وإشراكهم في الأعمال الخيرية المقَامة في المنطقة لتتمّ مكافأتهم وتكريمهم.

هذه في مجملها أساليب وطرق استغلّها المنصّرون المسيحيون في منطقة القبائل لتنصير الطّلبة الجامعيين، لكنّ ذلك لم يكن ليتحقّق لولا توفر مجموعة من العوامل

المساعدة على ذلك، فبعض الإخوة المسلمين في المنطقة عربا كانوا أو أمازيغ، وبسبب فهمهم الضيّق لتعاليم الدّين الإسلامي كانوا من أكبر المساهمين في انتشار هذه الظّاهرة وذلك بالنّظر لتزمّتهم وتشدّدهم في الممارسات الدّينية، فصاروا يصدرون فتاوى باطلة لا تمتّ للإسلام بأيّة صلة، ما يشوّه صورته ويحرّف رسالته، أذكر من ذلك ما وقع لي مع أحد الطّلبة حين أردت في إحدى الأيّام أن أقوم بتشغيل جهاز من أجهزة الحاسوب في أحد المخابر العلمية في الجامعة وإذا بِي أُفجع بصورة لجثث مقطّعة ومتناثرة هنا وهناك كُتبت عليها عبارة **"لا إله إلاّ اللّه محمّد رسول اللّه"** فثُرت لذلك وأردت أن أنقل احتجاجي لمسؤولي المخبر خصوصا وأنّ الأمر يتعلّق بمحاولة تشويه صورة الإسلام وأخلاق المسلمين إضافة لما ستسبّبه مثل هذه المشاهد من أذى للآخرين، فقام أحد الطّلبة في القاعة يظهر من هيأته أنّه ينتمي إلى إحدى الجماعات الإسلامية المتطرّفة، وقال بكلّ فخر واعتزاز: أنا وضعت هذه الصّورة كي تثبت انتصار الإسلام على الإرهاب والطّغاة ترى! عن أيّ انتصار يتكلّم؟! أوَ يعني أنّ التّمثيل بجثث الموتى في الحروب والنّزاعات ضرب من ضروب الإِنتصار؟! هذا حقّا يذكّرنا بموقف رسولنا الكريم –صلّى اللّه عليه وسلّم- حينما شاهد جثّة عمّه **حمزة** –رضي اللّه تعالى عنه وأرضاه– في غزوة أحد وقد مثّلت بها **هند بنت عتبة** أبشع ألوان التّمثيل انتقاما لمقتل والدها وأخيها وعمّها في غزوة بدر، فاشتدّ ألمه لذلك لكنّه –عليه الصّلاة والسّلام- وفي هذه الواقعة حرّم المساس بجثث الموتى أو التّمثيل بها. هذه هي أخلاق الإسلام الّتي نراها في سيّد الخلق محمّد –صلّى اللّه عليه وسلّم- والّتي يجب أن نتحلّى بها، أمّا القتل والتّشويه وما شابه ذلك فهو لا يمتّ للإسلام بأيّة صلة كانت.

كذلك نذكر قضية التّحيّز للعنصر العربي ومعاداة العناصر الأجنبية بما فيها العنصر الأمازيغي الّذي يمثّل غالبيةَ أبناء المنطقة وذلك بدعوى التّبرّك بلغة القرآن الكريم وجنسية الحبيب المصطفى –صلّى اللّه عليه وسلّم– وفي هذا الإطار كان تخلّي بعض المسلمين عن أخلاق الإسلام ومبادئه سببا مباشرا في تخلّي الكثير من أبناء منطقة القبائل عن دينم نذكر مثلا قصّة الطّالبة "**صليحة**" الّتي نشأت في أسرة مسلمة فقيرة، كان والدها إنسانا متغطرسا مارس كلّ أنواع الظّلم والقهر على والدتها فكان ذلك سببا في إصابتها بالشّلل ليقوم بتطليقها ويتزوّج شابّة صغيرة فطردها هي وابنتيها من البيت، وصرن بين ليلة وضحاها في الشّارع، اضطرّت صليحة –ولكسب لقمة العيش– أن تمارس الحرام فنبذها كلّ أهل القرية وطالبوا بطردها من القرية لأنّها تشوّه سمعتها وسمعة أهلها، لكنّها بقيت على حالتها تلك إلى أن التقت بفتاة مسيحية اصطحبتها إلى الكنيسة وعلّمتها مبادئ الدّيانة المسيحية فتنصّرت وتخلّت عن كلّ ما كانت تقوم به في السّابق، خاصّة وأنّ القائمين على أمور الكنيسة في المنطقة خصّصوا لها ولأسرتها راتبا شهريا دائما وقاموا بترميم الكوخ المهترئ الّذي كنّ يُقمن فيه، كما زوّجوها من شابّ نصرانيّ كانوا قد وفّروا له منصب عمل فانتهت مأساتها وأسرتَها لكنّها دفعت دينها وكيانها هي وأسرتها ثمنا باهظا لذلك.

المتأمّل في قصّة" **صليحة**" يدرك السّبب الحقيقي الّذي دفع بالفتاة لاعتناق النّصرانية فأبوها أهمل واجبه في النّفقة على أسرته وحرم زوجته وابنتيه من الجوّ الأسري الّذي كان سيجنّب ابنته الوقوع في الحرام، أهل القرية كذلك تخلّوا عن المرأة وابنتيها في وقت الشدّة وهذه ليست من شيم أبناء منطقة القبائل والجزائر والمسلمين بصفة عامّة، فالطّبيعة

الإنسانية تفرض على الإنسان مساعدة أخيه الإنسان، أكثر من ذلك فالإسلام يفرض علينا مساعدة إخواننا وتفريج كُربهم فاللّه تعالى في عون عبده ما دام العبد في عون أخيه.

وفي السّياق نفسه نورد قصّة الأستاذة "**حورية**" أستاذة العلوم الإلكترونية في الجامعة اِعتنقت المسيحية حديثا وهي الآن في سعي حثيث لتنصير زوجها "**حسين**". كانت حورية مسلمة ملتزمة بتعاليم دينها متحجّبة وخلوقة، حفظت القرآن الكريم كاملا وقرأت كتب التّفسير وعلوم القرآن الكريم والسنّ النّبوية الشّريفة، لكنّ تناقضات الفتاوى الّتي كان بعض الأئمّة يصدرونها في المنطقة وكذا تشدّد بعض الإخوة المسلمين وغلوّهم في الممارسات الدّينية جعلها لقمة سائغة لأحد القساوسة الّذي اغتنم الفرصة وبدأ يبثّ في نفسها الشكّ في تعاليم الإسلام ومبادئه مستندا في ذلك لتصرّفات هؤلاء، ما ساهم في زعزعة الوازع الدّيني في قلبها فتخلّت شيأ فشيأ عن أخلاق الإسلام بداية بخلع الحجاب الّذي كان في نظرها غطاءً لأنوثتها وجمالها، لتتخلّى بعد ذلك كلّية عن الإسلام فصارت من أكبر دعاة المسيحية في المنطقة والجزائر ككل.

عامل أساسي من عوامل انتشار ظاهرة التّنصير في المنطقة لا يمكننا أن نتغاضى النّظر عنه، يتمثّل في سلسلة الهفوات الّتي يقع فيها أئمّتنا والّتي تؤدّي في كثير من الأحيان إلى تشويه صورة الإسلام ونشر الفوضى بين أبناء الدّين الواحد والوطن الواحد فقد حضرت في إحدى المرّات خطبة من خطب الجمعة بوسط المدينة تتناول موضوع "**أخلاق المرأة المسلمة**" وإذا بالإمام يقول: "المرأة مصيبة المجتمع" قالها وهو يصرخ في أوجه المصلّين محمّلا المرأة بصفة عامّة مسؤولية كلّ ما يقع في المجتمع من انحلال خلقيّ وآفات اجتماعية، إمام آخر قاطع والدته ثلاث سنوات كاملة لأسباب تافهة، وفي أحد أيّام الجمعة جعل خطبته في موضوع البرّ بالوالدين فخرج أغلب المصلّين من المسجد

احتجاجا على تصرّفه حيال أمّه الّتي تركها وحيدة تعاني ألم المرض والوحدة. تصرّفات كهذه من شأنها أن تشتّت ثقة أبناء المنطقة في بعض أئمّتنا خصوصا مع انتشار فكرة **"افعل ما أقول ولا تفعل ما أفعل"** سخرية ممّن يسمّونهم بأشباه الأئمّة الّذين يشوّهون صورة الإسلام الحقيقية، ما سيساهم بالضّرورة في زعزعة الوازع الدّيني لدى شبابنا وطلبتنا بصفة عامّة ويجعلهم لقمة سائغة في أيدي المنصّرين خاصّة وأنّ أغلب القساوسة المنصّرين في عصرنا الحديث هم من أبناء المنطقة، تكوّنوا على أيدي منصّرين أجانب لتنصير أكبر عدد ممكن من الجزائريين، في حين يفضّل أئمّتنا البقاء داخل المساجد مكتفين بأداء الصّلوات الخمس وتعليم القرآن الكريم وكأنّ المسجد في هذه الحالة لم يؤسَّس إلاّ لهذه الوظيفة، مع أنّ المتصفّح للتّاريخ الإسلامي بصفة عامّة يستظهر القيمة الأساسية للمسجد في حياة المسلمين كمؤسّسة اجتماعية دينية وسياسية بداية من عهد الحبيب المصطفى—صلّى اللّه عليه وسلّم– إلى عصرنا الحالي، وقد كان له دور كبير في مقاومة الاِستدمار الفرنسي في الجزائر خصوصا في إطار الحركة التّنصيرية الّتي شنّتها فرنسا على بلادنا آنذاك والّتي امتدّت إلى العصر الحديث، أكثر من ذلك فقد كان أئمّتنا في الجزائر يساهمون وبدعم من مؤسّسة المسجد في العديد من الأعمال الخيرية التّضامنية والمشاريع التّنموية الّتي تخدم الفرد والجماعة إضافة للواجب الدّيني الّذي جسّدوا فيه كلّ معاني العمل والتّضحية في سبيل نشر تعاليم الدّين الإسلامي ومبادئه، أمّا الآن فقد صار الإمام يشتغل فقط من أجل نيل أجرته في نهاية الشّهر مثله مثل أيّ عامل في مجال آخر، وضع كهذا من شأنه حقّا أن يساهم وبطريقة كبيرة في انتشار ظاهرة التّنصير وتفاقمها لا في منطقة القبائل وحسب بل في الجزائر كلّها وباقي الأقطار الإسلامية، فوظيفة الإمام إذًا لا تقتصر على الصّلاة بالنّاس وحسب بل ينبغي أن يكون السّند والقدوة والمثل الأعلى

اقتداءً بالحبيب المصطفى—صلّى اللّه عليه وسلّم– خير الأئمّة أجمعين. كذلك وفي الإطار نفسه نجد دعاتنا وشيوخنا بالمنطقة يتقوقعون كلّهم بالمساجد المشهورة بوسط المدينة كالجامع الكبير والمسجد العتيق فتتنوّع الدّروس وتتعدّد الخطب والمواعظ، في حين يغتنم المنصّرون الفرصة لينقضّوا على ما بقي من أرجاء المنطقة فيصولون فيها ويجولون كما يريدون، أكثر من ذلك فقد علمنا من مصادر موثوقة أنّ مبالغ مالية باهظة تُصرف في المنطقة من قِبل المحسنين في سبيل مواجهة الظّاهرة لكنّنا لم نجد لها أيّ أثر يُذكر، أمور كهذه تقع في وقت يسخّر فيه المنصّرون كلّ ما أوتوا من مال وجاه في سبيل نشر دينهم واستكمال دعوتهم، أمل كبير كهذا لن يتحقّق مادام القرآن الكريم ولا يزال كامنا في قلوب أبناء المنطقة الّتي تُعدّ واحدة من أهمّ قلاع الإسلام والمسلمين، لكنّ التّنبيه لهذه الظّاهرة والتّحذير من أخطارها وتبعاتها واجب حتّى نحفظ الشّباب المسلم من الوقوع في غوايات المنصّرين وإغراءاتهم، وفي هذا الإطار نرفق مداخلتنا هذه بملحق أخذناه عن جريدة الشّروق وهو يخصّ السيّد "**بوزيد إريد**" المدعو "**محند أزواو**" أحد أبناء المنطقة الّذين اعتنقوا النّصرانية عن جهل بتعاليم الإيلام ومبادئه لكنّ اللّه تعالى أنعم عليهم بالهداية والرّجوع للإسلام، وهو بدوره يحاول أن ينقل إلينا تجربته هذه مركّزا على أهمّ الأسباب الّتي دفعته للتّنصّر ليشرح بعدها كيف دفعته تناقضات الإنجيل وخدعة المسيحية ليعود إلى الإسلام مرّة أخرى عملا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾[1].

[1] آل عمران: 19.

خاتمة:

خطر التّنصير يخيّم على بلادنا وعلى جميع الأقطار الإسلامية، فالنّصارى ينفقون الأموال الطّائلة في سبيل محاربة الإسلام والصدّ عن سبيل اللّه تعالى بوسائل عديدة وطرق ومتنوّعة، أما آن الأوان للمسلمين لا في منطقة القبائل وحسب بل في جميع البلاد الإسلامية بالتّحرّك وتوقيف هذا السّيل الجارف الّذي جرف معه خيرة شبابنا الّذين وقعوا في الغواية والوعود المغرية؟! فهم يعانون البطالة وقلّة العمل وعدم القدرة على تكاليف الزّواج، أكثر من ذلك؛ فهم وبسبب جهلهم لحقيقة دينهم ينجرفون وراء الدّعوى الكاذبة والجنّة المزعومة، لذلك وفي إطار محاربة هذه الظّاهرة نقترح بعض الحلول الّتي نراها مناسبة للقضاء عليها لا في الجامعة وحسب بل في كلّ مناحي حياة المسلمين بصفة عامّة:

- الدّعوة للّه تعالى ونشر عقيدة التّوحيد.

- تحديث الخطاب الدّيني الإسلامي وتوجيهه في إطار تحصين الشّباب الجزائري المسلم بالتّربية الدّينية وحمايته من الفساد والاِنحراف، وذلك ضمن خطب ودروس ونشاطات علمية تثقيفية تصبّ في القالب نفسه.

- الحرص على مخالفة النّصارى في كلّ شيء.

- تحصين الجامعات الإسلامية بالقيم الدّينية الإسلامية وحمايتها من خطر التّنصير.

- تقوية النّشاط الجمعوي والحراك الثّقافي في إطار خدمة الدّعوة الإسلامية، وفي هذا الإطار شهدنا بمعية مدير الشّؤون الدّينية والأوقاف لولاية تيزي وزو الشّيخ "**صايب محند أويذير**" عدّة دورات وجولات علمية على مستوى ثانويات المنطقة

ومدارسها للتّعريف بالإعجاز القرآني وعلوم القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف ومختلف الدّراسات الدّينية بصفة عامّة.

– تسوية المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية الّتي يعانيها الشّباب الجزائري بصفة عامّة.

– توفير الجوّ الأسري الإسلامي الّذي يجب أن ينشأ عليه الطّفل ويكبر بمبادئه فيكون له ذلك حصنا يحميه من الوقوع في خدعة التّنصّر وأيّ خدع أخرى.

– توجيه وسائل الإعلام في خدمة الإسلام في المنطقة.

– اِقتلاع مخلّفات الاِستدمار الفرنسي وإزالة التّشوّهات الّتي أصابت معالم الشّخصية الوطنية الإسلامية.

– ترجمة معاني القرآن الكريم والسنّة النّبوية الشّريفة، وكامل الدّراسات الدّينية إلى اللّغة الأمازيغية حتى يتمكن أبناء المنطقة من فهم تعاليم دينهم فهما صحيحا وإن كانوا لا ينطقون باللّغة العربية عملا بقوله تعالى﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1]

[1] آل عمران: 102.

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري: الصّحاح – تاج اللّغة وصحاح العربية- راجعه واعتنى به د/محمّد محمّد التّامر وأنس محمّد الشّامّي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث القاهرة 1430هـ- 2009م.
3. أحمد نعمان: مولود قاسم نايت بلقاسم-حياته وآثاره، وشهادات ومواقف- ط2، شركة دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، جوان 1997.
4. الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، مج4، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، د تا.
5. عبد اللّه التّل: جذور البلاء، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1408هـ - 1988م.
6. عمر فروخ: الاِستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السّياسة في: المستشرقون والإسلام، تأليف نخبة من العلماء المسلمين، دار المعرفة، جدة، 1405 هـ - 1985م.

